

كولومبوس بلا قناع

المقدمة:

منذ أن تحوّل الفضاء الرقمي إلى ساحة صراع بين السلطة والخطاب الحر، برزت في السعودية ظاهرة فريدة من نوعها:

حسابات رقمية تحمل وجوهًا متعددة، تغرد كأنها أصوات من الشعب، لكنها في الحقيقة تُدار من غرف مظلمة ذات ولاء مطلق لولي الأمر.

في قلب هذه المنظومة يقف اسم واحد يختصر كل معاني القمع والتقمص والجنون السلطوي: سعود القحطاني.

لقد تجاوز دور القحطاني مجرد إدارة "حملات التضليل" التقليدية؛ لقد أسس شبكة معقدة من العملاء الرقميين والمتنكرين الذين يعملون كأذرع تنفيذية لسياسة الدولة في التلاعب بالرأي العام والترهيب الممنهج.

هذه الوثيقة تستعرض الظاهرة من خلال دراسة حالة "كولومبوس" كأحد أبرز تجسيدات هذا النظام، مسلطة الضوء على الآليات النفسية والتقنية التي تم توظيفها لخلق مناخ من الخوف المطلق في المملكة العربية السعودية.

الخوف الرقمي: هندسة الرعب الممنهج

في نوفمبر 2025، اضطر مدير جمعية خيرية في محافظة الخرمة إلى تسجيل فيديو عام يشرح أن ظهور موقع جمعيته على منصة تويتر من "اليمن" كان خللاً تقنياً.

المشهد ببساطته كشف عمق الرعب الذي يعيشه المواطن السعودي.

ليس مهمًا الخطأ التقني، بل الذعر الذي تلاه.

ففي بلد يسيطر فيه الذباب الإلكتروني على الفضاء العام، مجرد خطأ في الموقع الجغرافي كافٍ لزرع رعب الخيانة في قلب مدير جمعية خيرية، فيسارع لتسجيل شريط براءةٍ علني.

الذباب الإلكتروني في السياق السعودي ليس مجرد جيش من الحسابات الآلية، بل هو شبكة هجينة تجمع بين الحسابات المؤتمتة (Bots) والفاعلين البشريين المأجورين (Trolls)، جميعهم تحت مظلة إدارة مركزية واحدة.

هذا النظام يهدف إلى تحقيق "إجماع زائف" عبر تضخيم الأصوات المؤيدة للسلطة وإسكات أو شيطنة أي صوت مخالف.

مصفوفة اليقين الزائف

النظام الذي بناه القحطاني ومن فوقه وليّهُ، يقوم على معادلة من نوع آخر، ليست في الفيزياء بل في علم ترويض البشر.

الفكرة بسيطة مرعبة: كلما طال زمن وجود المواطن في فضاء المراقبة، وكلما ارتفع معدل التخويف الذي تمارسه جيوش الذباب، ازداد احتمال أن يلتزم الصمت، وأن يرفع شعار "السمع والطاعة" خوفاً لا قناعة.

الخوف هنا لا يُزرع بالقوة فقط، بل يُربى بالزمن؛ بمرور الأيام يشعر الفرد أن المنصة نفسها تراقبه، فيتعلم كيف يخون ذاته قبل أن يخونه الرقيب.

تكثيف المراقبة يولد طاعة شبه غريزية، أشبه بردّ فعل بيولوجي، حيث يتحول الضغط المتواصل إلى يقين زائف عند الناس بأن الولاء وحده طريق النجاة.

وهكذا، تُستبدل القناعة بالخوف، ويصبح الخضوع هو "الاستقرار"، حتى تتشكل لدى المجتمع بالكامل مصفوفة يقين زائف تُغلق دورة السيطرة النفسية بإحكام.

الذباب الذي بناه سعود القحطاني حوّل الإنترنت إلى مرآة مراقبة؛ لا مكان فيها للحرية أو الخطأ العابر.

كل تغريدة محتملة لعقوبة، وكل صمت يُحتمل أن يُفسّر كخيانة.

هذه البيئة لم تُخلق عشوائيًا، بل صُمِّمت لتغرس الخوف في الوعي الجمعي. المواطن هناك لا يكتب، بل يُراقب نفسه وهو يكتب.

كولومبوس بلا قناع: حين يغرد الوزير من ظلال نفسه

لم يكن «كولومبوس» حسابًا من غبار الذباب، بل صورة مطابقة لرجلٍ غارق في ذاته اسمه سعود القحطاني.

وفق تتبع البيانات العلنية، غيّر هذا الحساب اسمه وصورته وتعريفه 63 مرة، في استعراض واضح لهاجسٍ مرضي بالتخفي والمطاردة.

هذا التبديل المهووس ليس محاولة للتجميل، بل هروب مستمر من الذات ثم عودة للتجسيد المتوحش لها.

التقمص والتخفي (Persona Shapeshifting):

السمة الأبرز لكولومبوس هي قدرته على التماهي مع أي هوية مطلوبة لخدمة الهدف اللطفي:

الوطني المتطرف: يستخدم لغة متشنجة تحت على العنف اللفظي ضد أي معارض داخلي أو خارجي.

الفقيه المتدين: يفتح النقاشات الشرعية بآراء متطرفة ومصطنعة لإثارة الانقسام بين التيارات الدينية المختلفة.

الفتاة اللطيفة/الناصحة: تستخدم أسلوب الإغراء العاطفي لزرع الثقة في المعارضين أو المدونين المترددin، بهدف استدراج اعترافات أو معلومات حساسة.

المعارض المتخفّي (التقمص العكسي): هذا هو الأسلوب الأخطر.

يتقمص شخصية معادية للسعودية أو متشككة في القيادة، يتحدث بلغتهم ويستخدم مصطلحاتهم بالضبط، ليستدرج المعارضين الحقيقيين.

بمجرد أن يثق المعارضون به، يتم الكشف عن هويته الحقيقية، إما لتشويه سمعة المعارضين بشكل عام، أو لفضح هوية المعارضين الذين تفاعلوا معه بشكل مباشر (عملية تُعرف بـ "الاستدراج والإدانة").

هكذا غدا كولومبوس ليس مجرد تابعٍ لجيوش الذباب، بل أمير الفتنة الرقمية وسيدها؛ قائد حرب نفسية شاملة تُدار ضد كل صوت مختلف.

في تغريداته يتجلى المرض النفسي للقحطاني - خليط من النرجسية، الهوس بالسيطرة، واللذة في إذلال الآخرين. كل هوية يتقمصها ما هي إلا مشهد من مسرحيته المظلمة، حيث يتبادل الأدوار بين الجلاد والمحقق والضحية... لكنه في النهاية يظل الشيطان الإنساني ذاته.

لقد أظهر تحليل النصوص المتغيرة لكولومبوس وجود نمط لغوي متناقض يعكس تشتت الشخصية.

نسبة استخدام ضمير المتكلم المفرد "أنا" ترتفع بشكل حاد عند استخدام الهوية "الوطنية"، بينما تقل بشكل ملحوظ وتتجه نحو صيغ الجمع أو المبني للمجهول عند استخدام هوية "الناصح" أو "المستفهم"، مما يشير إلى وعي بالتلاعب بالهوية اللغوية لخدمة الهدف التكتيكي.

الخلفية: الوزير والظل

وُلد سعود بن عبد الله القحطاني في الرياض عام 1978، درس القانون، وتدرّج في المناصب حتى صار مستشاراً في الديوان الملكي برتبة وزير.

تولّى الإشراف على مركز الدراسات والشؤون الإعلامية، وتحول هناك إلى مهندس نظام القمع الرقمي.

وبإشراف مباشر من محمد بن سلمان، بنى شبكة الذباب التي تعمل كجهاز استخبارات موازٍ، مهمته الرقابة على المواطنين والمعارضين على حد سواء.

التسلسل الهرمي للسيطرة:

كانت هيكله شبكة القحطاني تتبع نموذجًا هرميًا صارمًا:

القمة (التفويض): محمد بن سلمان (الدافع الأيديولوجي والمالي).

المركز القيادي (الهندسة والبرمجة): سعود القحطاني (تصميم الاستراتيجيات والخطاب المتنكر).

الطبقة الوسطى (التنفيذ): مدراء حسابات كبار يقومون بتوجيه "الخلايا النائمة" وتنسيق حملات الهاشجات.

القاعدة (الذباب المأجور): مئات الحسابات الآلية والبشرية التي تقوم بالضغط والردود المباشرة والترهيب.

جرائمه موثقة علنًا في حملات الكراهية المنظمة، وفي اتهام المفكرين والدعاة بالإرهاب، وفي تورطه في تعذيب المعتقلين وابتزاز النساء.

كان القحطاني يستخدم منصات التواصل ليس فقط للترويج، بل لجمع البيانات الاستخباراتية حول التوجهات السياسية والاجتماعية للمواطنين.

أي معلومة يتم جمعها عبر حسابات "كولومبوس" المتنكرة كانت تُحول إلى تقرير يحدد "الأهداف الجديدة"

للقمع الرسمي أو حملات التشهير المدعومة من الدولة.

وبسقوطه الشكلي بعد مقتل خاشقجي، ظنَّ البعض أن نفوذه انتهى - لكنه عاد متخفيًا في ظلال الحسابات الوهمية، ليواصل الدور ذاته.

إبعاده الظاهري لم يكن سوى تكتيك لجعله أكثر فاعلية في التخفي، حيث أن ظهوره العلني كان قد أصبح عبئًا سياسيًا في الساحة الدولية.

آليات التلاعب المتقدمة (Tactics Manipulation Advanced)

لإدارة شبكة بهذا الحجم والتعقيد، اعتمد القحطاني على تقنيات متقدمة في علم النفس السلوكي وتعديل الخوارزميات:

1. خوارزمية "الصدى والتضخيم" (Amplification and Echo):

كان الهدف هو جعل أصوات الذباب تبدو طبيعية ومتنوعة.

يتم إطلاق "بذرة رأي" (Opinion Seed) عبر حسابات عالية الموثوقية (المتخفية)، ثم يتم تضخيمها بواسطة آلاف الحسابات الأخرى في تتابع زمني مدروس.

في الظروف الطبيعية، أي موضوع يُفترض أن يجذب قدرًا محدودًا ومتناسبًا من الإعجابات وإعادة التغريد.

لكن في الحملات التي كان يديرها القحطاني، كان يتم تضخيم هذا التفاعل إلى مستوى غير طبيعي؛ فبدل أن يظهر الموضوع بحجمه الطبيعي، كان يتضاعف التفاعل عليه عدة مرات - لدرجة تجعل المنصة نفسها تظن أن هذا الرأي هو رأي الأغلبية الساحقة، حتى وإن كان في الحقيقة مجرد رأي صاحب صنعته جيوش منظمة من

الحسابات.

بمعنى آخر:

صوت واحد كان يُعاد تضخيمه عشرات المرات، ثم يُقدِّم للعامة وكأنه صوت شعب كامل.

هذا التضخيم المصطنع كان جزءاً من استراتيجية السيطرة على الرأي العام:

ليس الهدف إقناعك، بل إحاطتك بشعور أن الجميع مقتنع... وأن الصمت أصبح أذكى من الكلام.

2. هندسة "الأزمة العاطفية" (Engineering Crisis Emotional):

استخدم كولومبوس و(كتائبه) استغلال الأزمات الإنسانية أو الاقتصادية لـ"تشتيت الانتباه وتوجيه الغضب".

عندما يظهر استياء شعبي حقيقي، يتم إطلاق هجوم مضاد يركز على قضايا مثيرة للجدل (مثل القبلية، أو الجندر، أو الخلافات الإقليمية) لتحويل الحوار عن الموضوع الأصلي.

على سبيل المثال، إذا كانت هناك شكوى حول ارتفاع الأسعار، يتم تفعيل حسابات "كولومبوس" بهوية قومية متشددة لتبدأ في اتهام المعلقين بالخيانة العظمى أو التعاون مع جهات أجنبية، مما يغير محور النقاش من الاقتصاد إلى الولاء الأمني.

3. التفكيك الداخلي (Fragmentation Internal):

أحد التكتيكات البارزة لـ كولومبوس و(كتائبه)، هو العمل على تفكيك أي تجمعات معارضة محتملة عبر إشعال الخلافات الداخلية.

عبر تقمص شخصيات من مناطق أو قبائل مختلفة، كان يغذي العداوات القائمة (المناطقية أو القبلية) في السعودية، لضمان عدم تشكل جبهة موحدة ضد السلطة.

التحوّل من الوحدة إلى التفتت ليس حدثًا عشوائيًا؛ بل عملية مدروسة تُدار بوعي كامل.

الفكرة تعمل كآلة تفكيك اجتماعي: المجتمع الواحد يُقسّم إلى وحدات صغيرة - قبيلة، منطقة، هوية فرعية - ثم يُعاد شحن كل وحدة بشحنة صراع إضافية تُثبت عبر الحسابات المتنكرة التي يتقن القحطاني إدارتها.

فبدل أن يُنظر إلى المجتمع كنسيج واحد، يُعاد تشكيله كفسيفساء من الهويات المتنافرة.

كل قبيلة تُستفّز، وكل منطقة تُحرّض، وكل هوية فرعية تُشحن برسائل تجعلها تتوهم أن الأخرى تهدد وجودها.

ومع كل دورة من هذه العمليات، يُرفع مستوى التوتر بين المجموعات، حتى تُصبح الهوية التي وُلدت لتعطي الأمان مجرد سلاح يُستخدم لإشعال الخلافات.

بكلمات أخرى:

القحطاني لا يفتت المجتمع من الخارج، بل يستخدم المجتمع لتفتت نفسه.

ويفعل ذلك عبر حسابات متخفية تلعب أدوارًا متعددة:

مرة تغازل القبيلة، مرة تهاجم المنطقة، ومرة تقمص شخصية خصم لتصنع سوء الفهم والعداوة.

بهذه الطريقة، تتحول الهوية من رابط إلى فخ، ومن مصدر فخر إلى مصدر اشتباك.

وكلما ارتفع مستوى الشحن الذي تصخه تلك الحسابات، زادت احتمالات الصدام بين الناس - حتى يصبح التفتت نتيجة طبيعية لعمل حسابات لم يُعرف صاحبها، لكنها تُمسك بخيوط المجتمع كأنها خيوط دمي.

الخاتمة: من الشيطان إلى النظام

القحطاني ليس طارئاً؛ إنه نتيجة.

نتاج منظومة يعتبر فيها الخوف سياسة متعمدة، وتتحول فيها المنصات إلى أدوات إخضاع.

حين تتقمّص الدولة نفسها شخصية رقمية لتهاجم مواطنيها، يصبح لكل تغريدة ثمن ولكل صمت تهمة.

«كولومبوس» هو النموذج الأولي للفاعل الرقمي في الأنظمة الاستبدادية المعاصرة: هو الجندي الذي يرتدي آلاف الوجوه ليضمن أن الحقيقة الوحيدة المسموح بها هي الحقيقة التي تخدم السلطة.

هو الشبح الذي يتنصت، والمحرّض الذي يفتعل الفتنة، والمحقق الذي يستدرج الضحية إلى فخ الاعتراف.

هكذا لا يعيش السعوديون في فضاء إلكتروني، بل في قفص رقمي هندسه رجل مريض، صنيعةٌ ولي عهدٍ لم يعرف سوى الحكم بالخوف.

وكما يقول أحد المراقبين: إذا كان القحطاني هو المنفّذ، فإن محمد بن سلمان هو المفوّض.

إن قصة كولومبوس ليست مجرد قصة حساب تويتر، بل هي شهادة على كيفية تحويل البنى التحتية للاتصال الحديث إلى آلة قمعية فعالة، قادرة على اختراق الخصوصية، وتشكيل الوعي، وإعادة كتابة الواقع الجماعي في الظلام.